



خطبة صلاة الجمعة 13 / 5 / 2022 للشيخ الطيب محمد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

### (خمس آيات خير من الدنيا وما فيها)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خير نبي اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

أمّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإيائي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

### عنوان خطبة اليوم: خمس آيات خير من الدنيا وما فيها

#### أيها الإخوة:

سيدنا عبد الله بن مسعود من أوائل من أسلم من الصحابة الكرام، وأول من صدح بالقرآن بمكة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقيه الأمة وعميد حفظه القرآن، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إنك غلام معلّم، وكان يوصي أصحابه بأن يحاكو قراءته، ويتعلموا منه كيف يتلو القرآن.

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أحب أن يسمع القرآن غصّاً كما أنزل فليسمعه من ابن أم عبد» «من أحب أن يقرأ القرآن غصّاً كما أنزل، فليقرأه على قراءة ابن أم عبد»!!

وكان سيدنا عبد الله بن مسعود يقول عن نفسه: «والله ما نزل من القرآن شيء إلا وأنا أعلم في أي شيء نزل، وما أحد أعلم بكتاب الله مني، ولو أعلم أحداً تمتطى إليه الإبل أعلم مني بكتاب الله لأتيته وما أنا بخيركم»!!

وقال عنه سيدنا عمر رضي الله عنه: "لقد ملئ فقهاً" وقال عنه سيدنا علي رضي الله عنه: لقد قرأ القرآن فأحلّ حلاله، وحرّم حرامه.. فقيه في الدين، عالم بالسنة" وقال سيدنا حذيفة بن اليمان عنه: قال: كان أقرب الناس هدياً ودلاً وسمتاً برسول الله صلى الله عليه وسلم.

توفي ابن مسعود بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين، ودُفن بالبقيع، ولما نعي إلى أبي الدرداء، فقال: «ما ترك بعده مثله»، وهو واحد من الصحابة الذين ترجع إليهم أسانيد حفظ القرآن في العالم بأسره اليوم.

رضي الله عنه وأرضاه وعن سائر صحابة رسول الله.

فالحاصل كما سمعتم سيدنا عبد الله بن مسعود عالم القرآن الكريم والعامل بما فيه.

يقول سيدنا عبد الله بن مسعود عالم القرآن والعامل بما فيه: «خمس آيات في سورة النساء ما يسرني

أن لي بهن الدنيا وما فيها إحداهن: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء:

48]، و﴿إِنْ تَجَتَبَوْا كِبَارَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكَرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتُكُمْ وَنُدْخِلُكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: 31]،

و﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: 110]، و﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ

ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: 64]، و﴿إِنَّ اللَّهَ لَا

يُظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 40]. أخرجه الطبراني بإسناد

رجاله رجال الصحيح والحاكم.

هذه الآيات الخمسة فيها سعادة المرء في الدنيا والآخرة، وفيها خلاصة علاقة المسلم مع ربه ومع

عباد الله.

- أما الآية الأولى فتقول: لا تشرك بالله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ :

ذلك لأن مبنى هذا الدين على التوحيد ومدار سعادة الإنسان على أن يؤمن بلا إله إلا الله، كان

سيدنا علي رضي الله عنه يقول: «ما في القرآن آية أحب إليّ من هذه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ

مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾» [أخرجه الترمذي].

ونقل الزمخشري في الكشاف قال: جاء شيخ من العرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:

إني شيخ منهمك في الذنوب، إلا أنني لم أشرك بالله شيئاً منذ عرفته وآمنت به، ولم ألتجئ من دونه ولياً،

ولم أوقع المعاصي جرأة على الله ولا مكابرة له، وما توهمت طرفة عين أني أُعجز الله هرباً، وإني لنادم

تائب مستغفر، فما ترى حالي عند الله؟ فنزلت ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.

وأخرج الحاكم بإسناده عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«الدواوين عند الله عز وجل ثلاثة: فديوان لا يغفر الله منه شيئاً، وديوان لا يعبأ الله به شيئاً، وديوان لا

يترك الله منه شيئاً، فأما الديوان الذي لا يغفر الله منه شيئاً فالإشراك بالله عز وجل، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئاً قط فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه، وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئاً فمظالم العباد بينهم، القصاص لا محالة».

فالأية الأولى تقول: لا تشرك بالله.

- وأما الآية الثانية فتقول: اجتنب الكبائر ﴿إِنْ تَجَنَّبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نَكَّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلُكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾.

والكبائر جمع كبيرة، وهي كما قال القرطبي: كل ذنب عظم الشرع التوعد عليه بالعقاب وشدده، أو عظم ضرره في الوجود، وقد عبرت الشريعة عنها بالكبائر وبالفواحش وبالموبقات. ومن الكبائر الشرك بالله، واليأس من روح الله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، واليمين الغموس، وشهادة الزور، والزنا، والسرقة، والقمار، وشرب الخمر، والسحر، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، والاعتداء على أموال الناس وأعراضهم. وإنما يكون اجتناب هذه الكبائر وأشباهها بترك والابتعاد عما يدعو إليها، ويعينك على ذلك بطلب العلم وكثرة الذكر والصحبة الصالحة.

روى مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر».

وروى أبو حاتم البستي عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من عبد يؤدي الصلوات الخمس ويصوم رمضان ويجتنب الكبائر السبع إلا فتحت له ثمانية أبواب من الجنة يوم القيامة حتى إنها لتصفق» ثم تلا ﴿إِنْ تَجَنَّبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نَكَّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلُكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ والمدخل الكريم هو الجنة.

فالأية الأولى تقول: لا تشرك بالله، والآية الثاني تقول: اجتنب الكبائر.

- وأما الآية الثالثة فتقول: إذا أخطأت فتب واستغفر ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

ذلك لأن الإنسان ربما زلت قدمه، ونظرت عينه، وتفلت منه لسانه، وتعثرت خطواته، وبطشت يده، وأثم قلبه.

فإن أتبع ذلك بندم واستغفار، وبرّد الحق إلى صاحبه وطلبه المسامحة والاعتذار، فإنه يجد الله غفوراً رحيماً «يا ابن آدم، إنك ما دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي: غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي: غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي» [أخرجه الترمذي].

عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه قال: كنت إذا سمعت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً ينفعني الله عز وجل بما شاء أن ينفعني، حتى حدثني أبو بكر عن النبي صلى الله عليه وسلم - وصدق أبو بكر - قال: «ما من عبد يذنب ذنباً، فيتوضأ ويصلي ركعتين، ثم يستغفر الله عز وجل لذلك الذنب، إلا غفر الله له» وتلا هذه الآية: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ .

فالآية الأولى تقول: لا تشرك بالله، والآية الثاني تقول: اجتنب الكبائر، والثالثة تقول: إذا أخطأت فتاب واستغفر.

- وأما الآية الرابعة فتقول: توسل بالنبي صلى الله عليه وسلم ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ .

قال ابن كثير في تفسيره: (يرشد تعالى العصاة والمذنبين إذا وقع منهم الخطأ والعصيان أن يأتوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، فيستغفروا الله عنده ويسألوه أن يستغفر لهم، فإنهم إذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم وغفر لهم، ولهذا قال لوجدوا الله تواباً رحيماً وقد ذكر جماعة الحكاية المشهورة عن العتيبي، قال: كنت جالساً عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً وقد جئتك مستغفراً لذنبي مستشفعاً بك إلى ربي، ثم أنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه	فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه	فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الأعرابي، فغلبتني عيني فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم، فقال يا عتيبي، الحق الأعرابي فبشره أن الله قد غفر له».

فالآية الأولى تقول: لا تشرك بالله، والثانية تقول: اجتنب الكبائر، والثالثة تقول: إذا أخطأت فتب واستغفر، والرابعة تقول: توسل بالنبي صلى الله عليه وسلم، والخامسة الأخيرة: تزود ما حييت من الصالحات ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ فمهما فعلت الحسنات ضاعفها الله، ومهما بذلت القربات نَمَّأها الله، ومهما فعلت الخيرات كَثَّرها الله، وسيؤتيك من لدنه أَجْرًا عَظِيمًا.

وإن من فضل الله على المؤمن أنه رباه على فعل الخيرات والتعاون على المبرات، وعلى بذل المعروف وإغاثة الملهوف، وعلى بر الوالدين ورعاية الزوجين، وعلى إكرام الخلق وإحقاق الحق.

### أيها الإخوة:

هذه الآيات الخمسة فيها سعادة المرء في الدنيا والآخرة، وفيها خلاصة علاقة المسلم مع ربه ومع عباد الله.

تقول الأولى: لا تشرك بالله، والثانية: اجتنب الكبائر، والثالثة: إذا أخطأت فتب واستغفر، والرابعة: توسل بالنبي صلى الله عليه وسلم، والخامسة الأخيرة: تزود ما حييت من الصالحات.

- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾
  - ﴿وَإِنْ تَجَنَّبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكَهَرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلُكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾
  - ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾
  - ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاوَوْكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾
  - ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾
- وإنهن خير من الدنيا وما فيها كما قال سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

والحمد لله رب العالمين